سيمياء النص السردي
رواية تألق أنموذجاً

أ.م.د. ضياء غني لفتة
جامعة ذي قار- كلية التربية -قسم اللغة العربية
thiqaruni.org

المقدمة

إن الذي دفعنا إلى الاقتراب من هذا الإجراء النقدي هو ما "حققته السيميائية من قفزة نوعية في دراسة الأشكال السردية بخاصة، والعمليات اللسانية وغير اللسانية بعامة، مبسطة نفوذها العلمي على حقول تحليلية مبنية أساساً على المنظور الافتراضي الاستنباطي " (١) .

وإن الامتزاج الإجرائي بين مقولات الدرس السيميائي والنتائج النظرية للبنية في المتخيل السردي ستفضي بنا إلى أسئلة جوهرية عن التمفصلات التطبيقية لهذا الامتزاج، وطرح إشكالية تحاور السيمياء، اذ هي علم لدراسة العلامات داخل النظام السردي، من حيث هو بنيات كبرى وعناصر مورفولوجية ضخمة، داخل النسق اللساني .

تنطلق القراءة السيميائية للبنية السردية من الكشف عن القوانين المادية والنفسية التي تحكم مجموعة علاماتها، وتمفصلاتها داخل التركيب اللساني. لينطلق التعامل مع علامات (العنونة ولوحة الغلاف الفضاء الروائي والشخصية) على اعتبار أن المكونات السردية، لا توجد إلا من خلال اللغة،فهي فضاء لفظي بامتياز، لذلك فإن التحليل الواعي للبنية السردية، ينطلق عادة من الوحدات اللسانية ، وتتم دراسة نظام هذه العلامات، ونسق انتظامها داخل المتخيل السردي، في علاقاتها الوظيفية والبنائية مع عناصره المختلفة، ثم بين هذه الوحدات السردية بعضها ببعض.

ولا ريب ان المناهج النقدية الحديثة ، أولت النص الأدبي ، جلّ عنايتها ، وان جاء تركيزها على البنيات الداخلية للنص ، ومحاولتها حصر المعنى ، في الشكل (التقنية) ، أما المنهج السيميائي ، فهو بتعدد مرجعياته واتجاهاته ، يوفر للدارس ، مساحة أوسع للتعامل مع النص الأدبي ، من خلال محاولته احتواء (الشكل و المضمون) ، ضمن منظومة إجرائية عملية ، لا تفصل بينهما ، الا في حدود الدرس النقدي ، مما يجعل من عملية البحث عن المعنى من خلال العلامات المختلفة عملية مزدوجة ، تشمل الشكل (التقنية) والمضامين التي حمّل النص بها ، مما يفرض على الباحث التعامل مع اجرائين (سياقي) و(نصّي) .

وبعبارة أخرى نعتمد على هذه الأفكار ونستثمرها في تحليل هذا النص السردي ، بالتركيز على تمفصلاته النصية ، وأوجهها السيميائية ذات الطابع الإيحائي ، بالوقوف على الوحدات السيميائية، أي العلامات او الإشارات الدالة التي استثمرت في بناء النظام السردي، وكانت مشحونة بشحنات دلالية .

العتبات النصية: تشكل العناوين بأهمية كبيرة في المقاربات السيميولوجية، بعدّها أحد المفاتيح الأولية والأساسية التي على الباحث أن يحسن قراءتها وتأويلها، والتعامل معها، فهو بمثابة عتبة على الدارس أن يطأها قبل إصدار أي حكم. فعنوان الرواية لا يوضع هكذا عبثا أو اعتباطا على الغلاف "إنه المفتاح الإجرائي الذي يمدنا بمجموعة من المعاني التي تساعدنا في فك رموز النص، وتسهيل مأمورية الدخول في أغواره و تشعباته الوعرة"(٢). للعنوان مكانته عند المؤلف ، وعادة ما يكون الباب موصداً عند المؤلف حين يفكر في اختيار العنوان ، لأن الكاتب يفكر في مشروع الكتاب وتفاصيله من فصول وأبواب ، ويترك العنوان فيما بعد وهذه البنية هي لغة و خطوط وأشكال وألوان ، ومن خلال هذه اللغة يمكن إظهار الواقع أو التعبير عنه أو الإحالة إليه .و يعد العنوان الوسيط الأول بين النص والقارئ يأخذ إلى تأكيدات داخل النص ضمن مجموعة من السياقات أو بعضها ، كسياقات الحدث أو الوصف أو التركيب اللغوي أو الدلالي فكرياً أو حياتياً ، وهذا يعني أن العنوان يدخل بك في عوالم عديدة ومحطات كثيرة في هيكل العمل وجسده .

نشير إلى ان العنوان قد كتب باللون الأصفر العريض ، وهذا مايجعله يحمل دلالات متناقضة ، الا انه يحمل في معناه اللغوي دلالات أخرى لا تختلف عن مدلولها في سياق السرد ، فهو يأتي ليدل على لمعان البرق ،حمل العنوان دلالة الحياة ونقيضها الموت ، فاللون الاصفر يرتبط بالنبات الجاف والمرض وما يصاحبه من تغير لون المريض ، وهي دلالة الموت والضعف ، ولكنه يحمل في دلالته اللغوية معنى البرق وما يشير اليه من تألق وما يصحب ذلك من هطول الإمطار. وهو عامل الإنبات ثم الحياة ، وسنلحظ تألق شخصيات الرواية وتحملها المسؤولية سواء الاجتماعية أم الأخلاقية التي حاولت أحداث الرواية ان تستنطقها .

اما لوحة الغلاف فقد شكلت معمارا فضائيا بخلفية إسهامها هي الأخرى في تكريس البنية الميكروسيميائية العامة للرواية، وبارتباطها مع قيمتها المركزية . وهكذا،

بدءاً من دفة الغلاف الأولى، ندخل أجواء الرواية، حيث تطالعنا مؤشرات أولى نحو الدلالة من خلال صورة الغلاف.

نشير أولاً إلى أن لوحة الغلاف قد تضمنت لونا طاغيا على لوحة يوحي للقارئ بدلالة ما ، يساعده في ذلك، دلالة النص، وتنقل الصورة المصاحبة للغلاف إلى هيمنة اللون الأصفر الذي يدل على الموت والكآبة والغم والحزن ويحمل بدلالته السجن ، ولا اعني هنا السجن بالضرورة الجدران الأربعة بل هو السجن النفسي او كما يقول احدهم " ان أقصى أنواع السجون هي التي لا جدران لها " هذا السجن الذي يحمله الإنسان اينما يتحرك ويفوق في آثاره السجن الواقعي ، هذا الموت الذي لن يتغلب عليه الا بالمرأة بعدها رمز الخصوبة والحياة .وهي دلالة تكاد تتأكد شيئا فشيئا عند دخول عالم الرواية التي توحي بحالة من الضياع ومحاولة الهروب من المجتمع الى الانسان ـ الكاتب ـ هذا المجتمع الذي جعل السارد يرحل بعيدا عن وطنه . اللوحة عبارة عن غابة من الأشجار وهي وان كانت توحي باللون الأخضر ، فهي غارقة وبشكل ملفت للانتباه باللون الأصفر ولاسيما الحشائش الموجودة فيها ، وكأن الروائي أراد ان يجمع بين الحياة والموت في آن واحد ، ولكي يعزز انتصار الحياة اوجد بشكل خفي صورة ظل لوجه امرأة ، بدت ملامح شعرها وعينيها بشكل متداخل مع الطبيعة ، تعد المرأة رمزا من رموز الحياة والطبيعة . فالروائي يحاول ان يبعث الحياة إلى الأرض بوجود المرأة ، في محاولة لإحياء المكان وبعثه . ولاسيما ان الرسم قد شكل حيزا واضحا في الرواية فينقل لنا على لسان صلاح حبه للرسم " وانا واقف هناك طويلا ارسم بالالون الزيتية ذلك المنظر الذي عشقته وتأملته ودرسته قبل ان ارسمه ... عشقت الرسم منذ طفولتي، لم أتوقف عن الرسم حتى في خيالي (٣)" ليؤكد أكثر من مرة تلك الشجرة الجافة التي لفتت نظره وكان دافعا للإبداع ، فهو ينظر إليها من منظور اخر يختلف عن الاخرين فيقول " انها مجرد شجرة ميتة ، بدت أغصانها كأفاع صفر محنطة ، خلفها أشجار خضر "(٤) ويكرر ذلك " انتهيت اليوم من رسم صورة الشجرة الميتة وبدت كشبكة من أغصان عارية وجافة تنتهي حافاتها الملساوات بزغب ذهبي وهي تواجه ضوء الشمس"(٥) ولوحة الغلاف صرح بها السارد بشكل جلي ليؤكد ان اللوحة من صنيعه هو يقول " أمسكت فرشاتي ورسمت شلالا من شعر اسود ينهمر من فوق حافة اللوحة ويتماوج ... سألني احد النقاد الفنيين :

ـ اين الوجه في هذه اللوحة ؟

ـ انه في وجداني . لم اكشف عنه ،ولكن هذه الاستدارة الوردية تخفي صورة امرأة خجلة ترتجف "(٦).

لقد وصل حبه للرسم إلى درجة حاول فيها ان يعلمه لابنه ويجعل منه رساما يقول :"سأجعل من ولدي فنانا أسطوريا وبطلا لقصصي"(٧) وفعلا نجح في تحقيق حلمه لينتبه ولده محمد الى اللوحة التي تركها له والده " وقعت عيناه بدون وعي على اللوحة المعلقة على الجدار ... شجرة ميتة وسط غابة خضراء . حدق بها هذه المرة مليا واكتشف ان هناك في عمق الغابة شيء يومئ له ، يناديه استطاع ان يرى أشباح نسوة جالسات في عتمة ظل كثيف ، دقق جيدا ، تعبت عيناه من التركيز ، اخرج عدسة كبيرة في إطار اسود ، امسك بذراعها وقربها لكومة النسوة، لاحظ واحدة منهن بدون نقاب . قرب العدسة أكثر ، خفق قلبه ، شدته إليه بابتسامة عذبة ، ركز والده على تلك المرأة من دون الأخريات ، لم تكن وجوه النسوة من حولها سوى دوائر سود فيها عيون . حمل اللوحة إلى محل للتصوير ، وبعد جهد جهيد حصل على نسخة واضحة لوجه المرأة الجميلة " (٨) وهذا يؤكد ان لوحة الغلاف كانت تمثل الشخصية الرئيسة التي تقاسمت مع شخصية البطل احداث الراوية ، وهي شخصية حورية الجزائرية التي تزوج منها صلاح وأنجبت ولده الوحيد محمد ، وكانت تمثل الحياة لصلاح وسط حالة من الخواء الروحي وحالة من الموات والجفاف ، فحين جاء محمد باللوحة إلى زوجة والده الأولى ـ نور ـ سألته عن كيفية حصوله على هذه الصورة فأجابها " وجدتها في مكان خفي لا يعرف مكانه الا فنان بارع .

ـ استحلفك بالله ، أين وجدتها ؟

ـ تحت الشجرة الميتة.

ـ كانت اللوحة امامي ولم انتبه . إذن أنت فنان بارع . صدق من قال : فرخ البط عوام" (٩). نعم كانت حورية مصدر الحياة واستمرارها بعدان أنجبت صبيا جميلا (١٠). من هنا كانت هذه اللوحة الفنية تشير إلى ذوات ووحدات تركيبية ودلالية تتناثر هنا و هناك في فضاء النص المكتوب.

سيمياء الشخصية :

تعد الشخصية مكوناً مهماً من المكونات الفنية للرواية، وهي عنصر فاعل في تطور الحكي، إذ يؤدي عنصر الشخصية أدواراً عدة في بناء الرواية وتكاملها وطريقة عرضها للأحداث، ومن خلال مواقفها يمكن تبيان المضمون الأخلاقي أو الفلسفي للرواية، فالكثير من أفكار الكاتب ومقاصده ورؤاه ومواقفه من القضايا المتعددة تصورها الشخصيات، فهي المسؤولة بدرجة أكبر من بقية المكونات الأخرى عن طريق عرض الأفكار والتحكم بخط سير الأحداث أو مواجهتها. تتعدد الشخصيات في رواية(تألق) وتتنوع، فهي تضم إلى جانب شخصية البطل التي تقنع بها الروائي (صلاح مدرس اللغة الانكليزية) مجموعة كبيرة من الشخوص تتباين طباعها ومواقفها، وإن كانت في معظمها تنتمي إلى الطبقة المثقفة ، إذ يغلب عليها الحقل الثقافي والعلمي، فهناك الأستاذة الجامعية (نور) والطلاب الجامعيين (محمد طالب في اكاديمة الفنون الجميلة ، وامجد طالب في كلية الطب ، وليلى في كلية العلوم ، ورفاه مدرسة التصميم في معهد الفنون الجميلة) و(حورية طالبة الثانوية) فضلا عن الشخصيات الأخرى . وتبدو شخصية (حورية) فضلا عن شخصية (نور) أكثر الشخصيات التي نالت اهتمام المؤلف وعنايته، فهي بطلة الرواية، والشخصية الرئيسة فيها، ومحور الأحداث والحركة، وبؤرة التجربة، وفي فلكها تدور بقية الشخصيات الاخرى، منها تبدأ الرواية، وإليها تنتهي، وعلى لسانها تُحكى الرواية كلها، ومن خلالها ويلمس المتلقي رؤى

الكاتب للأحداث، بوصفها الأنموذج أو المثال الذي يَرى المتلقي من خلاله ما جرى من أحداث. ويمكن لنا ان ننظر الى هذه الشخصيات من خلال :

سيميائية البناء الخارجي للشخصيات:

يقصد بالبناء الخارجي للشخصية الملامح الخارجية لهذه الشخصية : شكل الوجه وحجمه ، شكل العينين ولونهما ، شكل الأنف ، العنق ، طول الشخص ، عرضه ، ما يلبسه ، مشيته ، طبيعة تحركه ، جلسته ، نبرات صوته . . . إلـــــــــــــخ.

وهنا ليس المقصود مجرد وصف لهذه الملامح ، إنما ما يمكن أن نستنبطه من دلالات من هذه الملامح ، وما يمكن أن تشير إليه هذه الملامح من معانٍ ضمنية يريد الكاتب أن يوصلنا إليها.

فشخصية (نور) الأستاذة الجامعية توحي لنا بامراة قد خبرتها الحياة خلقت منها شخصية ذات قوة وكما سنلحظ في تفاصيل احداث الرواية، وكل صفاتها الخارجية تدل على ذلك " قامتها الطويلة والرشيقة رغم ان عمرها كان يبدو في الاربعين ولكنها بدت نضرة وبكامل عافيتها "(١١) "وعينيها واسعتين تحدقان بالشباب "،(١٢) ، "وصوتها فيه غنج أنثوي خالد" (١٣) .

اما شخصية (حورية) فهي تتصف بكل صفات الجمال الأنثوي حاول السارد ان يبثها ليخلق منها أنموذجا للجمال ،هذا الجمال الذي يأتي ليكسر حالة الخواء الروحي ، فحين كان (صلاح) يمارس هوايته في الرسم ، وقد تحولت الطبيعة الى حالة من السوداوية اذ"زاد الغروب البطيء دكنة الألوان وبدت التجاويف البعيدة في عمق الغابة كهوفا سوداء عميقة وأصبحت الفسحات الخضر الزاهية ظلمة مساء"(١٤) ياتي " صوت هسيس واضح في ذلك الصمت انه أرنب ابيض ... انطلق كشهاب ناري بين الشجيرات المتكومة بعيدا " (١٥) ليكون بياض الأرنب وسرعته في الرحيل منطلقا للدخول إلى شخصية (حورية) " أصابني شلل مفاجئ عندما شاهدت ركبتي ساقين رشيقتين وبيضاويتين ، انها هي ! رفعت ثوبها لتتجنب الأشواك خوفا على حاشية ثوبها ان يتمزق. كانت تحمل رزمة من الحطب الثقيل على ظهرها وهي تمر عبر ممر الأشجار المزدحم ... هربت مثل ذلك الأرنب "(١٦) ويصف جمالها مرة أخرى حين يفاجأ برؤيتها ، ويصيبه الاختناق " كانت فتاة عارية ، مشغولة برمي حفنات الماء بيديها على جسدها العاري الذي كان بلون تفاحة حمراء باهتة . لمع جسدها مع لمعان قطرات الماء كحبات لؤلؤ تنزلق على قطيفة وردية ملساء"(١٧) وهي في عنفوان شبابها " كانت في السابعة عشر من عمرها "(١٨) ويديها بيضاويتين ، وشعرها اسود على كتفيها ، ووجهها مدورا ابيض كأنه قطيفة بيضاء ناعمة الملمس علقت فيه عيناها الواسعتان كفصين من الفيروز(١٩) ، ليربط مرة اخرى بينها وبين حياة سمكة خرجت من الماء وكادت تفارق الحياة لولا تدخل (صلاح)(٢٠) يقول " هل ان تلك السمكة الصغيرة التي أنقذتها واعدت لها الحياة تحولت إلى جنية بذلك الجمال المذهل " (٢١) ولا تخفى الصفات الأنثوية والشباب والحيوية التي حاول ان يعكسها السارد بدلالات الأرنب الابيض السريع الحركة ، والسمكة الصغيرة بلونها الفضي المحمر. وهي دلالات تشير إلى بث الحياة من خلال القدرة على الولادة .وهذا ما يتأكد بعد الزواج " نعم انا حامل! هكذا بسرعة؟نعم . هكذا تمر الشهور بسرعة "(٢٢) .

وهكذا كانت الصفات الخارجية لشخصيات الرواية تنطق بواقعها الاجتماعي والاقتصادي ، فهو حين يدخل بعض الشخصيات الثانوية والتي تأتي عرضا في استرجاعات ، ومن هذه الشخصيات شخصية(رعد) الذي يوحي بشخصية الرجل الثري فيسبغ عليه صفات الترف ، " دخل الغرفة رجل ضخم الجثة ، وجهه احمر ، يضع عوينات على عينيه الواسعتين جدا . .. مد يدا ضخمة ومشعرة ، شعرها أشقر كزغب فتاة شقراء."(٢٣) وهي صفات ذات دلالة واضحة على الغناء الفاحش وشخصية زميلته في الماضي (كريشا) الانكليزية من أصل بولندي " كانت في الخامسة والأربعين من عمرها ، عجوز تضع اصباغ الزينة بإفراط على وجهها المجعد ، لم يكن فيها جميل سوى شعرها الأشقر "(٢٤) ليعكس هنا شخصية النساء الأوربيات . كأنموذج يعبر عن هشاشة المرأة الغربية .

سيمياء الملامح الداخلية للشخصيات:

يقصد بالملامح الداخلية للشخصية الصفات النفسية والعقلية والفكرية والاجتماعية والخُلُقية والعقائدية التي تتمتع بها الشخصية في النص نفسه ، مثل : الانطواء ، العصبية، الغيرة ، الذكاء ، الإهمال ، سعة الأفق ، سعة الاطلاع ، البلادة ، السخاء ، الكرم ، التدين ، الإلحاد ، التعصب ، التسامح ، مساعدة المحتاجين ، الشراهة ، القسوة ، التكبر ، التواضع . . . إلخ .

تبدو شخصية صلاح تلك الشخصية التي اتخذ منها الروائي قناعا يخفي خلفها شخصية ريفية مثقفة تتصف بالعفة على الرغم مما كان يلاقيه من فتنة في الجزائر وغيرها من البلدان الأوربية من " النساء المملوءات حيوية ونشاطا يثرن بفتنتهن ما خمد من شهوة الرجال "(٢٥) ،الا انه لم يمارس لعبة الحب مع واحدة منهن،لا خوفا من الناس ولكن العفة جردته من كل تهور .(٢٦) وعلى الرغم من ثقافته وسفره الدائم فانه يتسم بالصرامة "فيه صورة الريفي الساذج "(٢٧). وهو يمتلك حس الفنان والمثقف " من خلال لوحاته وألوانه الجميلة ... من كتبه المبعثرة في ارجاء غرفته "(٢٨).

اما حورية فهي تتصف بالذكاء وتمتلك الثقافة ، فضلا عن إجادتها اللغة الفرنسية . (٢٩)، وهو ما جذب صلاح لها " ثقافتك قد أسرتني "(٣٠) كما انها تتصف بالبراءة والصدق(٣١) ، وهذه الثقافة جعلت صلاح أحيانا يصطدم بتصرفاتها فهي تحمل ثقافة تختلف عن ثقافته بعده ابن ريف ، فحين وصلت إلى فرنسا أثارت تصرفاتها صلاح " مرت سيارة أجرة وضعت حورية إصبعيها في فمها وأطلقت صفيرا ناعما . اثار انتباهي .... أحسست بانها تتصرف كفتاة مستهترة . ماذا تفعلين ؟ هذا غير لائق . انه شيء طبيعي هنا "(٣٢). وهذا ما يؤكده سياق آخر " اتصلت حورية من إدارة الفندق بأخيها . كانت تتكلم الفرنسية بطلاقة وتطلق ضحكات فرحة وهي تداعب خصلات شعرها الأسود "(٣٣) ليأتي رده مؤكدا انها تتصرف وفق مجتمع وثقافة تسمح بذلك " أنت زوجتي واعرف انك اصغر مني

بثمان سنوات وهذا لا يسمح لك ان تتصرفي على هواك . لم ارتكب أي خطا ، يا حبيبي "(٣٤) ليؤكد الاختلاف بين زوجته الأولى نور وحورية ويتجسد في الفارق الاجتماعي والثقافي .(٣٥) ولكنها كانت ، تواجه العواصف التي تصنعها الظروف والتقاليد الاجتماعية، بإيجابية مَنْ لا يستسلم ولا يضعف.

في حين اتصفت نور بالثقافة والهدوء والسكينة . (٣٦) وهذا ما انعكس على تصرفاتها في معظم المواقف والظروف التي تعرضت لها .

فبعد ان كشفت الزوجة حقيقة الأمر كان المعتاد ان تنفجر بوجه زوجها ولكن يفاجئنا السرد بردة فعل توحي برباطة الجأش عند نور الزوجة ، فتتصرف بهدوء وروية وتطلب منه الذهاب إلى حورية ليأتي بها إلى البيت مع ولدها . "لا أريد ان ارتكب خطيئة في حياتي ، يجب ان تأتي بهما وان يشاركنا أحاسيس الحب والألفة . انه بريء . اذهب واجلبهما قبل ان تخسرهما إلى الأبد "(٣٧)

ان العلاقة بين الوصف والشخصية ، قائمة على كونه (الوصف) الآلية التي تعمل على تشكيل (الشخصية) ورسم ملامحها ، وتجذيرها في الواقع ، وإكسابها هويتها الخاصة ، وهذه العلاقة ليست منغلقة فقط على الجانب (التصويري) الذي يقدم بطاقة تعريف بالشخصية الروائية ، بل منفتحة على المستوى الدلالي لهذه الآلية .

ونلاحظ ان أغلب الشخصيات مرتهنة بمكانتها الاجتماعية ووظيفتها أو عملها ، لذلك كانت أقرب إلى النماذج المعبرة عن طبقة ما ، وعلى الرغم من أن هذه الشخصيات تمثل بتقلباتها وتناقضاتها وأهوائها ونوازعها ذواتاً فردية لها خصوصيتها وفرادتها ، إلا أنها في الرواية تصبح شخصية جماعية .

فشخصية حورية ضحية للمجتمع الريفي الغارق بالاحكام الخاطئة ولاسيما الحكم بالرذيلة على الشخص لمجرد خطا الآخر من ذويه فحين كانت في السادسة من عمرها ذبحت أمها امام عينيها من قبل أبيها ، بقضية عار كانت بريئة منها .(٣٨) ، ومن ثم تأتي شخصية صلاح لتعكس الوعي بهموم الجماعة ، وهنا ينجح الروائي في رفع مستوى الشخصية ، وكما يقول جورج لوكاتش: " تنشأ بالجوهر عبر درجة وعيها وقدرتها على رفع الشخصي العرضي في مصيرها بوعي أيضاً على مستوى ملموس للعمومية "(٣٩) .وهنا يأتي دور صلاح في رسم صورة أخرى بزواجه من حورية رغم ماعرف عن أمها من خطيئة جاءت نتيجة إلى الحكم الخاطئ من قبل ابناء القرية . " هل تقبل الزواج مني ان وافقت ؟ حالا . حتى لو أخبروك في القرية اني ابنة ...؟ لا اهتم .. أنت أخبرتني بالحقيقة . انهم يعرفون الحقيقة مثلي .. ولكن لماذا لاتهتم ؟ لاني عرفت الحقيقة . قد أكون كاذبة . هذا غير ممكن "(٤٠) وهو من ناحية اخرى يشخص حالة العار ومجابهته بالقتل من قبل ذوي الفتاة وربما تكون بريئة لم ترتكب ذنبا وهذا ما نجده في حوار صلاح مع امرأة التقى بها في مستشفى " لاحظت بان المرأة العجوز كانت على وشك ان يغمى عليها أسرعت إليها وسألتها : هل أنادي على الطبيبة يا سيدتي؟ لا يا ولدي . انه ليس مرضا. انه الخوف. أي خوف ؟ أخشى ان لا تكون ابتني باكرا ! وماذا سيحدث؟ سوف يذبحها أبوها ويذبحني معها "(٤١) لينقل لنا بعد ذلك حدثا يفهمه صلاح " خرجت الفتاة وهي تبتسم كما دخلت وهمست في إذن أمها بكلمة واحدة لم اسمعها ولكني أدركت مغزاها عندما أطلقت المرأة المسكينة المرعوبة زغرودة متكسرة امتزجت ببكاء وضحك"(٤٢) في إشارة إلى بكورية الفتاة وعفتها ، وإنقاذها من الذبح هي وأمها .

لقد ساهمت كثير من الشخصيات في الرواية (نور ، عباس ، رشيد ،محمد، حيدر) بدور في دعم الشخصيتين المحوريتين (صلاح وحورية) في تنامي الإحداث وتأزمها حتى أصبحت الرواية مترابطة متماسكة ، فكانت البداية تعارفا مبنيا على الإحساس بالبحث عن الحب الحقيقي الذي يخطف القلب ، ثم تطورات مأساوية قائمة على موت حورية بجريمة قتل وطلاقه من نور ، والنهاية حالة من الفرح والاستقرار والتو اشج الأسري ، بعد زواج ابنه محمد من رفاه ابنة زوج نور ، ومابين النهاية والبداية حالات من الصراع الداخلي بين الحب والكره وبين الوفاء والخيانة والشهوة والعفة واليأس والفرح ، وهي ثنائيات قامت على أساس التضاد فأعطت البنية السردية شحنات عاطفية . ولقد شكلت شخصية نور وحورية منذ بداية السرد دور المرأة التي تتصف برجاحة العقل وتفهم المواقف لتشكل حضورا سيميائيا دالا على المجتمع وتقاليده نقول بأن "صورة المرأة أكثر رهافة وحساسية وأشد وضوحًا في تعبيرها عن الواقع من صورة الرجل ... كذلك نجد المرأة قادرة على أن تستقطب بحساسيتها المتأنية واتزانها العاطفي مثل مجتمعها وتقاليده بجميع عناصرها استقطابًا يبلغ حد الثبات والتكرار، فإذا قلنا طالبة الجامعة، أو المرأة العاملة أو الفلاحة ... على سبيل المثال، فمن السهولة بمكان أن نستجمع في الذهن صفاتها –لا كفرد- وإنما كنموذج يتسم بسمات عامة"(٤٣) .

ولعل هذا ما جعل المازني يرى أن المرأة "أكثر تمثيلاً للنوعية في حين أن الرجل أكثر تمثيلاً للفردية"(٤٤). بينما يراها العقاد "مظهر القوة التي بيدها كل شيء في الوجود وكل شيء في الإنسان"(٤٥).

والمقصدية واضحة في اختيار الكاتب لأسماء شخصياته ، وقد تصل هذه المقصدية ، على وفق رأي (هامون) إلى حدّ "الهمّ الهوسي الذي يحمله جل الروائيين في عملية اختيار اسماء وألقاب لشخصياتهم"(٤٦).

فاسم صلاح يحمل الاصلاح ضدّ الفساد والصلح بمعنى السلم ، وهو ما اتسم به فعلا ، فاستطاع صلاح من تغيير مجتمع القرية الذي شارك بتشييع جثمان حورية بحفل يدل على تعاطف المجتمع وشعوره بالندم على فعله(٤٧). على عكس الصورة القاتمة التي كونها عن هذه الفتاة والتي تظهر بشكل واضح ، بقلة حضور الناس عند زواجها من صلاح (٤٨) وقد اعتمد الروائي على تقنية في السرد تدفع القارئ إلى أن يقرر أن الرواية بمثابة (سيرة ذاتية) لبطل الرواية أو (شبه سيرة ذاتية) له، وقد أثار هذا الأمر للوهلة الأولى استغراب المتلقي ودهشته؛ ذلك أن شخصية الكاتب فاضل تتداخل مع شخصية بطله(صلاح)، فأخذ يكتب عن حياته، ويتغلغل في أعماقه وعواطفه الإنسانية؛ محاولاً تصوير أحاسيسه الداخلية ومعاناته النفسية، ورصد ما مر

به من أحداث، بلغة موحية، مستغلاً حوادث ووقائع وأطيافاً من حياة الشخصية العراقية؛ ليصنع منها رواية . والدارس لتصوير الكاتب لشخصياته الروائية، يجد أنه قد وفق في الدخول في حوار مع شؤون الشخصية الرئيسة في الرواية

وأحوالها، وأنها كانت تتداخل معه، فيصدر الكلام عنها في معظمه، وإن كان في الحقيقة يجري على لسان الكاتب.
واسم حورية مشتق من الحَوَرُ وهوأَن يَشْتَدَّ بياضُ العين وسَوادُ سَوادِها وتستدير حدقتها وترق جفونها ويبيضَّ ما حواليها وقيل الحَوَرُ شِدَّةُ سواد المُقْلَةِ في شدّة بياضها في شدّة بياض الجسد ولا تكون الأَدْماءُ حَوْراءَ فلا تسمى حوراء حتى تكون مع حَوَرِ عينيها بيضاءَ لَوْنِ الجَسَدِ...وإنما قيل للنساء حُورُ العِينِ لأَنهن شبهن بالظباء والبقر ...وتسمي نساء الأَمصار حَوَارِيَّاتٍ لبياضهن(٤٩) وهذا ما جسده السارد في كل مكان من روايته لينقل لنا بياض حورية ، وربما يحمل في داخله ماعرف عن حوريات البحر ، وما نقل عن رؤية حورية جميلة نصفها امرأة ونصفها سمكة تملك عيوناً كبيرة وجدائل طويلة، وغالباً ما يراها الصيادون تطل برأسها من الماء فجأة أو تجلس على إحدى الصخور. و كانت تلك المخلوقات تتحرى معاشرة بني البشر ، وغالبا ما كانت تتنكر بهيئة فلاحات.(٥٠). وقد أشار السارد إلى ذلك بقوله حين أنقذ سمكة من الموت " هل ان تلك السمكة الصغيرة التي انقذتها واعدت لها الحياة تحولت الى جنية بذلك الجمال المذهل ؟ هل هي تلك الفتاة ذات الخمار ام أنها امرأة أخرى جاءت من مكان مجهول "(٥١) .

اما اسم نور فهو يحمل معنى الضياء والنور ضد الظلمة وفي المحكم النُّورُ الضَّوْءُ أَيًّا كان وقيل هو شعاعه وسطوعه والجمع أَنْوارٌ ... ونَوَّرَ الصبحُ ظهر نُورُه... والنور هو الذي يبين الأَشياء ويُرِي الأَبصار حقيقتها(٥٢) .وهو ما اتسمت به شخصية الاستاذة الجامعية نور ففضلا عن ممارستها مهنة التدريس الجامعي في قسم الاجتماع ، فهي تعمل في إنارة الطريق للآخر والتضحية من اجله كما لاحظنا ذلك في علاقتها بصلاح وحورية .

ورفاه وهي بمعنى الرَّفاهَةُ والرَّفاهِيَةُ رَغَدُ الخِصْبِ ولينُ العيش ،رَفُه عيشُه فهو رَفِيهٌ (٥٣)، وهو ما تناسب مع الحدث فكانت رفيقة محمد في سفره الى فرنسا بعد لقائه بعائلته ،وهو كان يميل إليها منذ دخوله المسكن " تمنى بلحظة عابرة يوم دخل بيت نور ان يكون له بيت مثله وزوجه مثل رفاه لثقافتها وحسها المرهف في تعاملها مع الإشكال الجميلة والألوان الزاهية بكينونة لها معان عميقة "(٤٥) وكانت فكرة زواجه بها مصدر السعادة " أثلج قلبه كل ما سمعه وزهت أنوار القاعة الواسعة في عينيه "(٥٥) فكانت رفاه مفتاح العالم ومصدر السعادة " سيكون بينكما ذلك ما ان تضع يدك في يدها وتنطلقا الى العالم الفسيح ، عالم الفن الجميل " (٥٦) فالروائي في اختياره لأسماء الشخصيات يسعى لان" تكون مناسبة ومنسجمة بحيث تحقق للنص مقروئيته ، وللشخصية احتماليتها ووجودها ، ومن هنا مصدر ذلك التنوع والاختلاف الذي يطبع أسماء الشخصيات الروائية "(٥٧).

نقول لا تقاس أهمية الشخصية الروائية بحضورها المكثف داخل مساحة السرد، بل بفعاليتها، وتأثيرها على مجريات الأحداث، ولا تتحدد قيمتها بالمساحة التي تمثلها، بل بالدور الذي تقوم به وما يرمز إليه هذا الدور، وأيضاً بالأثر الذي يتركه في ضمير القارئ، مما يدفعه إلى التساؤل والمقارنة، ثم تحديد موقفه من هذه الشخصية.

ونلحظ ان ثمة بعض الشخصيات التي اكتفى الكاتب بتصويرها تصويراً سطحياً في بعض المواقف، فبدت تلك الشخصيات باهتة الملامح، جاهزة البناء، وربما كان السبب في ذلك ان تلك الشخصيات لم يكن لها دور سوى القاء الضوء على الشخصيات الرئيسة في الرواية .كما في شخصية (عباس ، رشيد ، ابو امجد، قاسم،وغيرها).

الفضاء:

شهد مصطلح الفضاء اتساعا واضحا ليشمل في اغلب الدراسات (الزمان والمكان) معا ، فالعلامات الزمنية "لا تمنح دلالتها الا في المكان ، والمكان لا يدرك الا في سياق الزمان ، وبينهما يتنامى العالم المأخوذ من النص الروائي في بعديه المادي والمعنوي"(٥٨) وقد حاول باختين ان يربط بين الزمان والمكان بعلاقة جدلية في (الفضاء الزمكاني)(٥٩) . والمكان الروائي قطعا ، ليس هو المكان الواقعي ، على الرغم من التطابق في بعض الأحيان في الأوصاف والتسمية ، فالمكان الروائي قائم على العلاقات اللغوية داخل النص الروائي ، والتشكيل البصري للأيقون المكاني في مخيلة القارئ ، وبذلك تبرز العلاقة بين مرجعيات المكان والمتخيل السردي في بلورة هذا العنصر ، ومع ذلك يزودنا الروائي ببعض الإشارات الجغرافية والواقعية (٦٠) . سواء كانت هذه الإشارات مجرد نقاط استرشاد لإطلاق خيال القارئ ام كانت استكشافات منهجية للأمكنة ان المكان (في النص الروائي) هو مجموع العلاقات اللغوية ، التي تؤسس للفضاء المتخيل ، وتعمل على ايجاده ، وتحويله من لغة سردية إلى أيقونة بصرية في ذهن المتلقي ، وبهذا تتجلى العلامة المكانية بوصفها معطى سيميائيا لا مجرد تراكيب لغوية مبنية على تراتبية مكانية .

تشكل القرية ومختلف الامكنة التي تضمها الرواية ، الفضاء الروائي الذي تجري فيه أحداث الرواية ، كما انها تشكل منطلق الاحداث الأخرى في فضاءات أخرى ، تتعالق مع عناصر السرد كالزمان مثلا .

وقد استغل الكاتب ــ هنا ــ فضاء القرية، ليتخذ منه رمزاً وقناعاً يخفي المباشرة، ويسمح للمبدع أن يمرر، من خلاله آراءه ومواقفه فنياً ودلالياً، وعليه، فالقرية هنا هيكل نموذجي للمجتمع الجزائري. فبساطة وخواء المجتمع هناك تبدو واضحة ، فحين تحدث صلاح عن رؤية الحطابات له مع حورية ، توجه بالسؤال الى حورية "الا تخافين ان يوشوشن بحكايتك ويصل الخبر الى أبيك ؟ لا تخافهن ، فهن مسكينات مثلي ، ينتظرن من يتزوجهن "(٦١) ويؤكد الفراغ الذي تعيشه القرية من خلال الإشارة الى جلوس الرجال دون عمل "اختفى الأطفال والرجال القاعدون عند الاسيجه حيث كانوا يدخنون ويثرثرون "(٦٢) .

ويصف لنا كيف ان القرية تغيرت بموت والد حورية وتحولت إلى حالة من الخواء ، ومن ثم يتحول المجتمع إلى حالة من التكاتف فيكون الحزن عاما ، وينعكس هذا الحزن

على كل الموجودات في المنزل والقرية بصورة عامة . " توجهت إلى القرية ... وجدت بعض الأطفال والصبيان يلعبون كرة القدم في الحقل الواسع ، فيما جلس بعض الشيوخ في الشمس يدخنون ويثرثرون . نظروا لي بصمت

وحزن . توقف الصغار عن اللعب وتوقف الرجال عن الثرثرة وكأنهم في حداد "(٦٣) ومع هذا كانت القرية للسارد مصدر الراحة بعكس ما تمثل له المدينة ، كونها تمثل الدفء والحب " فجأة ظهرت لي قرية تمتد في الوادي ، يتصاعد الدخان من بيوتها ، دخان أشعرني بالدفء والطمأنينة "(٦٤) وهذا ما أكدته دلالة الكرم التي اتصف بها احد أبناء القرية " أنت ضيفي . من أين أنت ؟ العراق . يا خير الناس !انزل يا عراقي ... ستنام هنا ، يا سيدي بعد تناول العشاء "(٦٥) مما أشعره بالدفء والطمأنينة مرة أخرى .(٦٦) وشكل سقوط الثلج موقعا حيويا ، وتكرر في أكثر من موقع، وحمل دلالات مختلفة من بين هذه الدلالات الخواء والموت ، فحين ماتت حورية " اجتمع القرويون في المقبرة ، حمل بعضهم تابوت حورية وسار البعض خلفه ... كان الصمت شديدا اختلط بصمت الثلج الساقط الذي دثر القبور المنتشرة "(٦٧) ،ويقول أيضا في تكرار لكلمة الثلج " بقيت عند قبرها أزيح الثلج من على البلاطة الملساء "(٦٨) .

اما موقف الروائي من المدينة ، فقد انحصر بين الرفض والمعاداة والنفور والتضايق من المدينة. فضلا عن رؤية المفارقات التي يدينها كانفلات العلاقات الاجتماعية بشكل يعتمد على الرمز والإشارة ،بحيث يصبح الريف او القرية ملاذا للاحتماء من الصدمة في المدينة .

فمع ما يشعر به من جمال المدينة كان يعيش الغربة " سافرت زوجتي إلى العراق وبقيت أعيش هذه الغربة والوحدة في مدينة "سوق اهراس " مبينا ان العلاقة مع سكان المدينة كانت قائمة على المنافع المتبادلة " وجدت فيها من يتعاطف معي ...قد يكون هذا التعاطف متبادلا بتأثير مصالح مشتركة"(٦٩)، ليشعر السارد بالغربة لاسيما اذا عرفنا ان الروائي عاش الغربة لذا كان قريبا من شخصية صلاح حين تحدث عن الغربة ، فهو متعلق بوطنه العراق وبمدينة الناصرية، فكان هاجس الحنين مرافقا له في كل مكان يذهب إليه ،" لا استطيع البكاء وتخنقني غصة في بلعومي وأتذكر المساءات التي قضيتها مع أصدقائي على الكورنيش المطل على نهر الفرات ، مكان يفيض بشرا كل مساء وفي الأعياد والأفراح . أتذكر الليالي في المقاهي المفتوحة على ضفة الفرات. البدر هناك تعكس نوره الفضي صفحة ماء الفرات وينشر رذاذا فضيا على هامات النخيل "(٧٠) ، انه نوع من الشعور بالغربة الاختيارية الذي تختار فيه الشخصية المنفى عن المكان الأصلي ، ، ونشعر القرب بين الروائي وشخصية صلاح ، فهاجس الحنين يرافقه حيث حل ومع كل بلد يسافر إليه فيقول حين وصل مرسيليا " تمنيت تلك اللحظة ان أكون في العراق أتنقل من شارع إلى شارع لأرى كل شيء جميلا في لحظات سعادتي "(٧١) ويتضح الاشتياق الى الوطن والأهل في الرغبة للسفر في العطلة الصيفية إلى العراق .(٧٢) .

ويرتبط بالمدينة المقهى وقد قُدّم في الرواية بوصفه المكان العام الوحيد الذي يمكن لبطل الرواية ان يلتقي فيه ، وربما حمّلت دلالة المقهى في اغلب الروايات العربية بدلالات سلبية ، تشي بما يعانيه الفرد من ضياع ، وبطالة ، وقضاء الوقت في الأعمال المنحرفة ، سواء اكانت قمارا او تجارة مخدرات ام مجرد عطالة فكرية.(٧٣) ،وهذا ما

تجسد فعلا في المقهى اذ "تضج الأصوات وتطفو سحابة دخان كثيفة فوق الرؤوس ولا يتوقف ذلك النادل النحيف عن الصراخ والتعليق"(٧٤) ،ويكرر إشارته للدخان في إشارة إلى حالة الخواء " المقهى كانت غارقة بالدخان : دخان السجائر والغيلان، صاخبة بأصوات الزبائن والمذياع، كانت أكثر عتمة من السماء الملبدة بالغيوم "(٧٥) ،في إشارة إلى الطبقة التحتية للمجتمع. فالمقهى مكان للعاطلين وهذا ما قرره حين وصل الى مقهى (اللوتس) مبينا بصورة خفية حال العراقيين من المدرسين فهم" اما زبائن دائمين او حلوا ضيوفا ذلك اليوم وكل يوم كما افعل انا في أيام العطل عند السفر او مراجعة السفارة العراقية "(٧٦) ، فالاشارة جلية إلى ان الكثير ممن يبحث عن المستقبل خارج الوطن لا يجد سوى الجلوس في المقاهي يوميا .

وسعة المدينة وتنوعها يجعلها تضم أماكن أخرى ، يظن البعض انها ملاذ لحل مشاكلهم ، ومن هذه الأماكن الحانات ، فشعور صلاح بالوحدة وعدم عودة زوجته من العراق، جعله يفكر بحلول أخرى متخيلا ان فيها مايعينه على حل مشاكله ، وهنا تقع تحت عينيه " حانة قديمة تمتد بأضوائها الخابية عند بقايا حديقة مهملة بلا سياج . انتصبت هناك أشجار زيتون بلا ثمر "(٧٧) والإشارة واضحة بان هذه الأماكن لا تأتي بالحلول كما ان أشجار الزيتون بلا ثمار في حديقة الحانة ، فهي مجرد حل وهمي لا يفضي إلى نتيجة . لذلك يمعن السارد في وصف المكان ليزيد من بشاعته وكانه يحاول الخلاص منه " دخلت الحانة من بابها الكئيب ، نظر لي رجال بصمت وترقب ، في ذلك المكان الموحش الخانق ، أشم رائحة عفن رائحة اثاث قديم و مشمع متآكل يغطي أرضية رطبة . تبعثرت الرائحة وكأنها في كل زاوية مظلمة. انهم يحدقون بي وكأنهم ينظرون إلى شبح غريب دخل عالمهم .... شعرت وكأني وسط مقبرة مهجورة. ضاق نفسي وتلاشت رغبتي في احتساء شيء وشعرت بالغثيان "(٧٨) لقد بث السارد إشارات ليوحي ببشاعة المكان اذ (الوحشة ، والاختناق ، والعفن ، والرطوبة ، والظلام ، والمقبرة) كل هذه المسميات جعلت السارد يؤثر في المتلقي ويجعله ينفر من الصورة ، ويبتعد عنها مبينا ان مرتادي هذه الحانات من المدمنين فكانت نظرتهم اليه بوصفه شخصا غريبا، ولاسيما ان السارد قد مر بتجربة مع احد أصدقائه عرف فيها ما تسببه الخمر من مشاكل اقسم على أثرها ان لا يضع الخمرة في فمه (٧٩)، لان الخمرة هروب من مشكلة إلى مشكلة أخرى. اذ يكون الإدمان ثم التحول على لسان السارد إلى " واحد من هؤلاء المختبئين في الزوايا المظلمة وافقد وضعي الاجتماعي "(٨٠) ،ويستمر السارد في وصف مرتادي هذه الحانات ليبين بشاعة المنظر ويوغل في رسم صورة منفرة له " وجوه لم تشرق الشمس عليها ، وجوه متعبة وعيون قذرة ... تذكرت قسمي وتركت المكان البائس... أغلق الباب ورائي"(٨١). ولعل

العبارة الأخيرة تشير صراحة إلى ترك الخمر بلا عودة . ومن المشاكل التي عالجها الروائي ، مشكلة البغاء محاولا عرضها في فضاء مكاني مرتبط بالمدينة ففي مدينة قسنطينة واثناء مصاحبته للأوربية (كرشيا) يعمد الروائي إلى تقنية الحوار الخارجي وعلى لسان صلاح متحدثا عن الشرف والقيم في المجتمع العربي ، وكيف استقبلت (كرشيا) الحديث دون تعليق واكتفت بالضحك وكأنها لم تقتنع بذلك لتؤكد ضحكتها حقيقة الواقع بعد وصولها الى مكان اعتمد فيه على الوصف الواقعي الذي تمارس فيه هذه العملية فهو اقرب إلى الخراب والانزواء فهو منزو يغطيه الظلام يقترب من السجن ، ولا يختلف الوصف هنا عن وصف النساء اللائي يحويهن ذلك المكان ، فهن بلا أرواح ، قد فقدن الرغبة في الحياة مع علامات البؤس ، والتمثيل بالسعادة "في قسنطينة قادتني في طريق ملتوية تنزل في أعماق حي سكني فقير ، كومة من المنازل القديمة جدا. بدت الطريق تقود إلى ما لا نهاية من الغور العميق في المجهول والغرابة . سرنا بتثاقل على الطريق المسقفة ... كانت هناك زنزانات صغيرة ، غرف مظلمة وكئيبة على الجانبين احتضنت أجسادا متعبة عارية ، فقدن أرواحهن وجلدن بالعار الأبدي ، وارتسمت علامات الشك والخوف من الحياة ، ولكن بدون حياء في العيون الذابلة وعلى الشفاه ابتسامات كاذبة تظهر حقدا وكرها على وجوههن المصبوغة بملل وعدم مهارة "(٨٢) ، وهنا تأتي ردة فعل (كرشيا) لتبين التصور الخاطئ للحديث عن الشرف العربي والقيم " قالت كرشيا وهي تبتسم ويتجعد وجهها بخبث: انظر لهؤلاء النسوة ، عاريات تماما، اين الشرف الذي تحدثت عنه؟ كانت تلك لطمة اهانة قد صفعت بها " (٨٣) ولعل الموقف من مدينة (قسنطينة) لم يكن للروائي فقط بل يبدو موقفا عاما وهذا ما يؤكده الحوار الذي دار مرة بين صلاح وحورية " سألتني حورية مرة ونحن في ولاية (قسنطينة): هل قرأت رواية الزلزال للأديب الطاهر وطار ؟ كلا . يدعو الله ان يحدث الزلزال في هذه المدينة"(٨٤) ولا يخفى ما للروائي الطاهر وطار من أصول ريفية جعلته أكثر رفضا لتلك الأماكن ، وهو لا يختلف عن أصول صلاح قناع الروائي (فاضل) ذات الأصل الريفي .(٨٥). لقد استطاع (فاضل) في عرضه لهذه المشكلة ان يقف على كثير من الأمور التي تعد من دقائق الواقع العربي ، وحاول ان يجد الحلول لها " في تلك الليلة كتبت مقالة إلى صحيفة يومية (الشعب) لا ادري هل وصلت تلك الرسالة أم أهملت أو مزقت"(٨٦) ليشير بدلالات واضحة إلى تغاضي الحكومات عن إيجاد الحلول المناسبة . معتمدا على المفارقة في ذلك ، فحين دخل ذات المكان مع احد أصحابه اختفى ذلك المشهد المقيت فيتوجه صديقه بالسؤال إلى امرأة مسنة عن النسوة " سيدتي أين ذهبت النسوة هنا ؟ الى جهنم... أصبح المكان ساحة واسعة ، في طرفه الأيمن راحت المجارف العملاقة تتحرك باستمرار لإزالة الصخور وتسوية المكان والساحة . أشرقت الشمس على المكان واختفت النتانة والظلال السود في الزوايا . تأكدت بأن مقالتي كان لها تأثير سحري ، ربما قرأها المسؤولون آنذاك قال احد العمال: ستشيد مبان جديدة بدلا من هذه القذارة"(٨٧) ،فالأشخاص الذين يقع على عاتقهم حل مشاكل المجتمع اوجدوا حلا لا لمشكلة هؤلاء النسوة ، والقضاء على ما يعانيه من حياة بائسة ، وانما لتشيد مبان جديدة ، ولتذهب هؤلاء النسوة إلى الجحيم كما أشارت المرأة العجوز.

ويأخذ البيت دوراً مهماً، وهو ظاهرة بارزة في تشكيل عالم الرواية، لذلك ركز الأدباء كثيراً على إنتاج هذا البيت، الذي يعد ركن الإنسان الأول في العالم، على حد تعبير باشلار (٨٨) ، فيضفي عليه الكاتب بعضاً من إنسانيته بما يخلق فيه من حركة بين ساكنيه، وتفاعلهم فيما بينهم،و يسمح بتحليل شخصية صلاح ونفسيتها، من خلال تعامله مع الزوجة، وما يثيره وسلوكه من أداءات، بعدّها عاملا جديدا داخل الفضاء. فمع دخول نور المنزل قادمة من العراق " ابتسمت رجعت الحياة إلى المنزل الذي كان قبل يوم كئيبا وصامتا استرخيت وانأ اسمع طقطقة الأواني وصوت خرير الماء في الحنفية . بدأت أشم رائحة الشاي بالهيل "(٨٩) . كما أن غياب شخصيات أخرى داخل البيت، والفوضى التي تميزه دائماً والأثاث ، يوحي بمجموعها بالمواصفات هي أن صلاح يعيش لوحده وقدوم الزوجة من المدينة إلى بيت زوجها، هو اختراق ثنائي يؤدي وظائف مختلفة .ليأتي السؤال على لسان نور حين دخلت المنزل " أهو بيت مهجور" (٩٠).

فكانت المرأة رمزا لإعادة الحياة وهي حقيقة لا تقبل الشك فحين وقفت نور قرب شجرة كانت تربطها بها ذكريات ولكنها بدت ميتة الآن مما جعل نور تبادر على لسانها لتقول " وها انا أعيد لها الحياة لتبقى خالدة زاهية كقيثارة من ذهب "(٩١) وهذا الوصف للبيت يتضح في بيت حورية ، حين جاء صلاح للزواج منها" أشار الصبي الى بيت منخفض تحفه أشجار الزيتون وعرائش العنب "(٩٢) " أدخلني غرفة مشيدة من الصخر . هذا ما بدا من الخارج ، أما الداخل فكانت الجدران صقيلة الملمس بيضاء، ما عدا السقف فقد تكحل بالسخام . فرشت الأرضية بسجادة ثمينة ولكنها تبدو قديمة"(٩٣).فكان منزل حورية مرتبطا بالسعادة والشعور بالراحة " اذهب عصرا إلى بيت حورية وارقد ساعات طويلة في الفراش ، أرى أحلاما جميلة "(٩٤).

تؤدي الشخصية الروائية مجموعة من الوظائف داخل السرد، فهي مجموعة من الاستراتيجيات الدلالية المتوافقة مع المعمار البنائي للرواية . ويقدم لنا المكان يد المساعدة للتعرف على الشخصية، ان القراءة الدلالية للمكان توضع لنا ملامح الشخصيات، اذ يمكن عدّ المكان بناءً، يتم تشكيله اعتماداً على ملامح ومميزات الشخصيات وطبائعها.

وينشأ الفضاء الروائي من خلال وجهات نظر متعددة، لأنه يعايش على عدة مستويات: يعيشه الروائي أولاً، والراوي ثانياً بوصفه كائناً تخييلياً، ومن اللغة التي يستعملها، فلكل لغة مواصفات خاصة لتحديد المكان . ثم تعيشه الشخصيات الأخرى التي يحتويها المكان، وفي المقام الأخير يعيشه المتلقي .

الزمن :

يتشكل النص الروائي في مجمله من مقاطع سردية وأخرى وصفية، بالإضافة إلى الحوار بمختلف أنواعه غير أن الثنائية الغالبة والأساسية في النص الروائي هي بين

السرد والوصف . فإذا كان السرد من أهم العناصر الزمنية، فإن الوصف يهتم بالمكان، فبينما ينماز السرد بالحركة والنمو والتطور، مع تطور الحدث وعلاقته بالزمن، يميل الوصف إلى الثبات ويركز على وصف المكان، الوصف

لحظة استراحة داخل المساحة السردية . وإذا كان الروائي في القرن التاسع عشر يركز، قبل أن يبدأ بسرد الأحداث، على وصف المكان وتحديده زمنياً، ووصف الشخصيات . فقد تحول الوصف اليوم إلى عنصر فاعل في الحدث.

تمثل المقاطع الوصفية في النص الروائي وقفة زمنية، لذلك نجد نوعاً من التوتر يسود النص بين وقع مستوى النص الذي يدفع بالأحداث إلى الأمام على خط الزمن، وبين جذب المقطع الوصفي الذي يشد النص نحو الاستقصاء والسكون، ومن هنا يمكن أن نتنبأ باتجاهين: أحدهما يخضع لدفع الزمن، فيزمّن المقاطع الوصفية، وهذا هو الوصف الخلاق الذي يسهم في نمو وتطور الحدث، أما الاتجاه الأخر فيستسلم للاستقصاء، فيسكن الزمن ويشل حركة الحدث .

ويظهر الوصف ألاسترجاعي المكاني بشكل جلي يجعل القارئ يعيش المكان مع الروائي " ركنت سيارتي البيضاء النظيفة - بيجو ٤٠٤- في أقصى عمق المنعطف الواسع عن الاستدارة الحادة على الطريق الضيقة التي تمر عبر" المشروحة" ... يتلوى الطريق في منعطفات حادة متتالية بدون أي امتداد ولو لربع دقيقة. .. وتهب نسمات المشروحة باردة ، تشرح الصدر ، تشم عطرا زكيا يأتيك من ارض ندية طوال العام من عمق الغابة"(٩٥) ، ويقول في وصف مدينة " سوق أهراس " " تمتد المدينة على سفوح جبال مقابلة ومتباعدة ، وارض ملتوية وتلتقي في واد طويل وواسع ومزدحم بالأشجار والعمارات والمباني الجميلة "(٩٦) ، ولا يخفى ما للوصف هنا من تحقيق غاية تزينيه يهدف السارد من خلالها إلى إثارة مخيلة المتلقي ونقله معه ليعيش الأجواء التي تجري فيها الإحداث لان الوصف هنا يساعد على ربط الاحداث والشخصيات إلى أماكن معروفة وأزمنة محددة. (٩٧). ولا يخفى على المتلقي اللمسات التي تشعره بانه يتابع لوحة فنية ، لان من ينقل الوصف لم يكن روائيا فقط بل رسام " شاهدت المدينة المتلألئة تبتعد وتصغر والشارع يقترب لنهايته وأصبح وجها لوجه مع صفحة السماء المظلمة وخيوط متصلة من قطرات مطر تلمع امامي وتهتز مثل ستارة شفافة من اللؤلؤ "(٩٨) .

وتاخذ ظاهرة وصف الجسد والجمال الأنثوي . - وكذلك الأشياء والحركات والإيماءات- عندما تقع ضمن دائرة المحظور والممنوع والمحرم والذي "يخدش الحياء" تتحول إلى شكل رمزي ينتعش ضمن الوضعيات المبهمة والفاقدة لأية هوية؛ إلا أن النص - وهذه إحدى مزاياه- يخلق الإبهام من خلال عملية الوصف، ليتحول هذا الوصف إلى طاقة سيكشف السرد عن وظيفتها داخل البناء الروائي من خلال الزج بها داخل حبكة سردية تقود إلى فعل ينزع عنها بعدها الرمزي ليجعل منها عنصرا يدرك باعتبار حقيقته لا باعتباره مجازا. إن تقديم الشخصيات (الشخصيات النسائية أساسا) عبر التركيز على جوانب بعينها معناه توجيه النص (والقراءة أيضا) وجهة خاصة لن تحتفظ من هذه الكائنات إلا بالجانب الذي سيشكل محورا مركزيا للأحداث، ونعني به الجسد كما يتضح في وصف جسد حورية "جسدها الوردي الذي دثرته بشعرها الأسود الذي لونته أشعة الشمس الغاربة بألوان الورد الأحمر ،

جسد ارتجف من قوة الحياء والعفة الأزلية في حواء قبل ان ترتجف من لمسة يد الرجل "(٩٩) .

وقد مهّد الكاتب، بهذا المقطع الوصفي المذكور أعلاه، ليمنح القارئ فرصة التعرف على شخصية حورية، وكيف تؤدي الأدوار السردية . ويستمر الكاتب في تقديم تقارير مباشرة عن شخصية حورية، وهذا ما يؤكد ما قلناه سلفا، من أن الكاتب يوظف الوصف لأغراض بلاغية، ولتأدية الوظيفة الدلالية التي تؤطر الحدث.

ويعمد الروائي الى الحوار الخارجي في كشف الشخصيات ويحقق التطابق التام بين زمن الحكاية وزمن القص ليشعر القارئ بأنه إمام مشهد مسرحي كما في الحوار الذي دار بين نور ومحمد ابن زوجها حين دخل قاعة الدرس ليستمع الى محاضرتها حول(الزواج المبكر وتأثيراته المستقبلية) فتتوجه بالسؤال إليه "من أية كلية أنت؟الفنون الجميلة.وماذا تفعل هنا ؟ استمع لك واستفيد. جيد، هل يمكن ان اعرف اسمك؟محمد صلاح هادي. هل تعرفني؟ أعرفك أكثر مما اعرف أمي"(١٠٠) فالحوار هنا ساهم بشكل جلي في كشف شخصية محمد وتعرف نور عليه ليكون مدخلا لانطلاق الاحداث الأخرى . لقد شكل المشهد أدق تفاصيل الحياة ، مما يعطي الفرصة للمتلقي ان يكتشف ويقرر دون ان تفرض عليه وجهات النظر ، فينقل لنا حواره مع شخصية قاسم في حوار استرجاعي جرى في بغداد في فندق رخيص ، في إشارة إلى وضاعة المكان وكيف يؤدي شرب الخمر الى تفاقم المشاكل بدلا من حلها " قال لي مرة بعد فترة الغداء : ليلة تجدني أغنى الرجال وفي ليلة أخرى أكون شحاذا استجدي السيجارة . هل لك عائلة ؟ انا عائلة بمفردي . وحيد . لا تقلق يا أستاذ ، انا شخص لا يؤسف عليه . لماذا؟ لا تزعج نفسك بالتفاصيل . انا ملك وشحاذ، لا ابكي ولا اضحك . لا ادري لماذا أعيش .... غط في نوم عميق(١٠١) انه يعيش حالة الضياع قابعا في أماكن رخيصة لا يمتلك هدفا محددا ، بل حتى مشاعره أصبحت بلا عنوان ، فلم يجد غير النوم مهربا له . وتأتي تقنيات الحذف المعلن للزمن الذي لا يجد فيه احداثا مهمة فحين بدأت العطلة الصيفية وقرر الرجوع الى العراق لمدة شهرين ينتقل بعدها ليقول :"انتهت العطلة الصيفية ورجعنا في الأول من أيلول " (١٠٢). دون ان يخبرنا عن الإحداث التي جرت في تلك العطلة وصولا للحدث المهم ذهابه للقرية للقاء حورية . او الإجمال الذي جاء على لسان نور وهي تسترجع ماضيها عن طريق ملاحظات سجلتها على شكل مذكرات " أكملت دراستي الجامعية بتفوق . وبعدها حصلت على شهادة الماجستير . تزوجت من ضابط شرطة له بنت جميلة . ساعدني كثيرا وبتشجيع كبير لنيل شهادة الدكتوراه وحصلت عليها بسهولة . أنجبت منه ولدا وبنتين "(١٠٣) ،فالسارد أجمل دراسة الماجستير والدكتوراه وإنجاب ثلاثة أطفال في أربعة اسطر كونها من الاحداث التي لا تؤثر في

سير الرواية ولم يكن لها حضور ذا أهمية . وهو يحقق سد الثغرات الزمنية وما يقع فيها من احداث بشكل موجز.

وقد شكل استرجاع الاحداث حيزا كبيرا ، ويأتي في كثير من الأحيان لسد فجوات في السرد ، او التعريف بشخصية ظهرت في الرواية فحين يتحدث عن شخصية

صلاح ينتقل للحديث عن طفولته وحبه للألوان على الرغم من العمل المضني " انهض مبكرا كل صباح ، تعودت ذلك منذ صباي ، لم أكن مدللا بالرغم من حب أمي لي ، كنت آخر العنقود . عملت ساعات طويلة في معمل بلاط .وجد رب العمل عندي كل المهارة والخبرة في خلط الألوان ، كل يوم اغمر ذراعي في بحر ناعم من المساحيق وأتنفس الموت كل لحظة ، اختنق واسعل كل ساعات العمل "(١٠٤) ، وحين تعرض لحادث سيارة اثناء ذهابه إلى المطار حين قدمت نور من العراق استرجع حديث الرجل الفرنسي الذي باعه السيارة " تذكرت الرجل الفرنسي الذي باعني السيارة وهو يقول :ان هذه السيارة جديدة وممتازة ولم تستعمل لان مالكها قد توفي بالسكتة القلبية " تألق : ٤٤ ليعقد حوارا داخليا مع نفسه ويسأل " هل يمكن ان تكون هذه السيارة الرخيصة نعشا لي يحملني إلى مثواي الأخير ؟" (١٠٥) ويستبق الاحداث ليتصور انه قد مات في الحادث" سوف تصل زوجتي وتجدني ميتا وبدلا من ان تعانقني سوف تذرف دمعا وهي تجمع عظامي واطرافي وكل جزء من جسدي المحطم وترجع إلى الوطن حزينة وتبقى حورية تنتظرني كل يوم جمعة " (١٠٦).

سيمياء الحدث :

تندرج الرواية في الاحداث عبر حبكة سردية تبدأ بزمن الحاضر وتنتهي بالحاضر ويقع بينها احداث شكلت البنية الأكبر من الرواية وهي استرجاع لما مضى وعلى شكل مذكرات كتبها البطل فضلا عن الملاحظات التي دونتها نور . أخذت معظم صفحات الرواية من الصفحة ١٣الى الصفحة ١٦٠في الرواية التي تتكون من ١٦٧صفحة .

يشكل الموت مكانة مركزية في الرواية بحيث لا يطال عددا من الشخوص فحسب ، بل يمتد إلى المكان أيضا ، ولهذا الموت علاقة سلبية بالرغبة ، تظهر في رغبة بطل الرواية في تحقيق الحياة ، والمتمثلة في رغبته في الحصول على ذرية من زوجته الأولى في حالة لانعكاس الخصوبة" أريد ولدا يحمل اسمي . كان عليك ان تنتظر حتى ... كم ، ثمان، عشر سنوات ؟"(١٠٧). ولعل حالة الانفعال عند موت حورية وتصرفاته بشكل غريب وظنه ان نور هي حورية حين ارتدت ثوب حورية ووضعت عطرها الفرنسي في محاولة لإسكات الطفل محمد عن الصراخ " إنا زوجتك نور . حورية ماتت وتركت لك صبيا جميلا. اخرجي أيتها اللعينة ، عاقر مثلك لا تستحق الحياة "(١٠٨)، فهو "يريد ذرية ، على الأقل صبيا يحمل اسمه "(١٠٩) ، لذا كان موت حورية على يد ابن عمها مثل موت البطل ذاته اذ يقول حين رأى المجرم بيد الشرطة صاح به " قتلتني ايها المجرم " (١١٠) . فالحب لحورية ظهر على شكل التفاتات جنسية لدى بطل الرواية(١١١) ،اذا وصف حورية بصفات يجعلها مؤهلة للعطاء ، ويتضح ذلك في تصوير حالة الجفاف التي أصابت الغابة ، وتهشم الإعشاب نتيجة لحالة القحط والجفاف التي أصابها ، وظهور حورية وسط ذلك الجفاف وهي متوقدة الشباب والحيوية في إشارة إلى الخصوبة .(١١٢). نقول ان ثيمة الموت قد شكلت بعدا متضادا مع الحياة في احداث الرواية ، فموت صلاح بداء الكبد ،(١١٣) وموت أبي امجد اثر مرض عضال ،(١١٤) وموت حورية ووالدها المريض ،

وموت جار محمد المعروف بالحاج سالم بمرض السرطان نتيجة لعدم حصوله على الدواء الذي يتناوله(١١٥) ، كلها شكلت ثيمة تؤكد الواقع المأساوي للمواطن أينما كان وعدم حصوله على الحياة الكريمة ، ومن ثم موته. ليأتي نقيض الموت الحياة والمتمثل بولادة محمد ، وزواج نور مرة أخرى من ضابط شرطة أنجبت منه ولدا وبنتين ،(١١٦) ، وجمع شمل العائلة من جديد ولقاء محمد إخوته الآخرين غير الأشقاء ، وزواجه من رفاه ابنة ضابط الشرطة . فهو مصير الإنسانية .(١١٧) .

والرسم كاد يشكل نواة السرد ، ومركز النسيج السردي السيميائي ، فحضوره في الرواية يؤهله لان يكون من الوحدات السيميائية المهمة ، فدلالته تتصل بالحياة والموت أيضا ،فقد ورد أكثر من عشر مرات ، فضلا عن الألوان التي طغت على صفحات الرواية ، فهناك ثلاث شخصيات مارست الرسم صلاح ،ومحمود ، ورفاه ،وكأن فعل الرسم يمتد وراثيا ، ويشكل عاملا مهما في بعث الراحة "أعتقد ما أنجزته الان كافيا ان يطرد الخيالات والأوهام التي سيطرت علي ، منحتني اللوحة الجديدة الرغبة في ان أتمدد على سريري وأحدق في أعمق الخطوط المنحنية ، أداعبها بحنان ... وسبحت بلون وردي في جو معطر "(١١٨). ليشكل الرسم النهاية السعيدة للرواية بعد ان استطاع محمد ان يستخلص وجه امه من لوحة تركها والده صلاح في غرفته ، ليأتي بها إلى زوجة أبيه نور ويدخل الفرح الى قلبها لتعترف بمهارة وفق المقولة المعروفة " فرخ البط عوام"(١١٩).

ان الرواية تعكس دور المرأة ، التي كثيرا ما قادت المجتمع وأخذت على عاتقها إدارة الأسرة في ظل غياب الرجل ، بغض النظر عن وضعها في المجتمع التقليدي كما يحاول البعض ان يرسمه . لقد حاول الكاتب على لسان شخصياته تصوير الهم الاجتماعي والواقع العام والقضايا الشخصية من خلال إطار واقعي للشخصيات، إذ أخذ في تحليل شخصياته الرئيسة تحليلاً عميقاً من خلال علاقة الأنثى بالذكر، وعلاقة الأنثى بالأنثى، ورصد مظاهر الفساد في المجتمع، ونقد الممارسات الخاطئة لبعض أفراده وإدانها، وكشف الزيف في هذا الواقع وعرّى الفئة المتسببة في تشويهه.

لقد قدمت الرواية بأسلوب بلاغي ضم في أهابه فنون البلاغة من تشبيه واستعارة وبديع بلغة رشيقة رومانسية تقطر عذوبة .

<u>الهوامش:</u>

١ـ مقدمة في السيميائية السردية:.٩٧
٢ـ السيميوطيقا والعنونة:.٩٠
٣ـ تألق:.١٥
٤ـ المكان نفسه.
٥ـ تالق١٦ـ.١٧
٦ـ تألق : .٨٠

٧- تألق:.١٥٤
٨- تألق :١٦٠-.١٦١
٩- تألق: .١٦٢
١٠- ينظر: تألق: .١٥١
١١- تألق:٥.

١٢- ينظر: تألق :.٦
١٣- ينظر : تألق :.٧
١٤- تألق: .١٨
١٥- تألق:.١٨
١٦- تألق: ١٨ -.١٩
١٧- تألق : .١٩
١٨- تألق :.٢٠
١٩- ينظر : تألق :.٦١
٢٠- ينظر : تألق :١٧-.١٨
٢١- تألق : .٢١
٢٢- تألق : .١٠٣
٢٣- تألق :.٣٠
٢٤- تألق :.٣٨
٢٥- تألق :.٤٩
٢٦- ينظر : تألق :.٥٠
٢٧- تألق :.١٠٩
٢٨- تألق : .١٥٨
٢٩- ينظر : تألق : .٧٥
٣٠- تألق :.٩٥
٣١- تألق : .٩٤
٣٢- تألق : .٩٩
٣٣- تألق : .٩٩
٣٤- تألق : .٩٩
٣٥- ينظر : تألق :.١٠٠
٣٦- ينظر: تألق : ١٣٩.
٣٧- تألق : .١٤٠
٣٨- ينظر : تألق : ٧٢-.٧٣
٣٩- دراسات في الواقعية:.٣١
٤٠- تألق : .٧٦
٤١- تألق: .١٠٤
٤٢- تألق :.١٠٥
٤٣- صورة المرأة في الرواية المعاصرة:.٥٣
٤٤- حصاد الهشيم
٤٥- سارة :.١٢٩
٤٦- سيميولوجية الشخصيات الروائية :
٤٧- ينظر : تألق :.١٤٩
٤٨- ينظر : تألق :.٨٩
٤٩- ينظر : لسان العرب (مادة حور).
٥٠- ينظر : الحكايات الفولكلورية والخرافات والاساطير:.١٢٩
٥١- تألق : .٢١
٥٢- ينظر : لسان العرب (مادة نور).
٥٣- ينظر : لسان العرب (مادة رفه).
٥٤- تألق : ١٦٥ .
٥٥- تألق : .١٦٥
٥٦- تألق :.١٦٦
٥٧- بنية الشكل الروائي: ٢٤٧
٥٨- الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا :.٢٥
٥٩- إشكال الزمان والمكان في الرواية:.٢٢٠
٦٠- شعرية الفضاء الروائي.(انترنت).
٦١- تألق : ٧٤.

٦٢- تألق : .٨٨
٦٣- تألق : ١٢٢.
٦٤- تألق : ١٢٨.
٦٥- تألق : .١٢٩
٦٦- ينظر : تألق : ١٣٠.
٦٧- تألق : .١٤٩
٦٨- تألق : .١٤٩
٦٩- تألق : .٢٦
٧٠- تألق: .٢٦
٧١- تألق : ١٤٥.
٧٢- ينظر : تألق : .١١٣
٧٣- بنية الشكل الروائي : .٩١
٧٤- تألق : ٢٥.
٧٥- تألق : .٢٧
٧٦- تألق : .٤٧
٧٧- تألق: .٢٨
٧٨- تألق: ٢٨
٧٩- ينظر: : تألق :٢٨-٣٢.
٨٠- تألق : .٣٢
٨١- تألق : .٣٢
٨٢- تألق: ٣٨- ٣٩.
٨٣- تألق : ٣٩.
٨٤- تألق : .٨٩
٨٥- ينظر تألق : ١٥٥.
٨٦- تألق: .٣٩
٨٧- تألق: ٤٠-.٤١
٨٨- ينظر:جماليات المكان: .٣١
٨٩- تألق : .٥٤
٩٠- تألق :٥٥.
٩١- تألق:٥٣.
٩٢- تألق :٨٢.
٩٣- تألق : .٨٤
٩٤- تألق : .١٢٧
٩٥- تألق : .١٤
٩٦- تألق :.٢٥
٩٧- ينظر: الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا : ١٨٠
٩٨- تألق :.٢٨
٩٩- تألق : .٣٧
١٠٠- تألق : .٦
١٠١- ينظر: :تألق ٢٩-.٣٠
١٠٢- تألق : .١٢٢
١٠٣- تألق : .١٥٧
١٠٤- تألق : .٣٧
١٠٥- تألق : .٤٤
١٠٦- تألق : ٤٥ .
١٠٧- تألق : .١٣٨

١٠٨ـ تألق : ١٣٨.
١٠٩ـ تألق : ١٥٥.
١١٠ـ تألق :١٤٦.
١١١ـ ينظر : ص٧ من البحث.
١١٢ـ ينظر تألق : ١٨-٢٠.

١١٣ـ ينظر : تألق : ٨.
١١٤ـ ينظر : تألق : ١٠.
١١٥ـ ينظر : تألق : ١١٢.
١١٦ـ ينظر : تألق : ١٥٧.
١١٧ـ ينظر: تألق:١٦٦.
١١٨ـ تألق : ٣٦.
١١٩ـ تألق : ١٦٢.

المصادر:

ـ إشكال الزمان والمكان في الرواية ، ميخائيل باختين ، ترجمة : يوسف حلاق ، منشورات وزارة الثقافة ـ دمشق ، ١٩٩٠.
ـ بنية الشكل الروائي ، حسن بحراوي ، المركز الثقافي العربي ـ بيروت ،الدار البيضاء، ١٩٩٠.
ـ تألق ، فاضل عباس الموسوي، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ، ٢٠٠٩.
ـ جماليات المكان، غاستون باشلار، ، ترجمة غالب هلسا، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت.
ـ حصاد الهشيم، إبراهيم المازني، دار المعارف ، القاهرة ، ١٩٠٥.
ـ سارة، عباس محمود العقاد ، سلسلة اقرأ، ع١٠٨.
ـ الفضاء الروائي عند جبرا إبراهيم جبرا، إبراهيم جنداري ، دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ،٢٠٠١.
ـ دراسات في الواقعية، جورج لوكاش ، ترجمة :نايف بلوز ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، ١٩٨٥. http://thiqaruni.org/arabic/57.pdf
ـ السيميوطيقا والعنونة، د. جميل حمداوي عالم الفكر، الكويت، مج٢٥، ع٢٣، يناير/مارس١٩٩٧.
ـ الحكايات الفولكلورية والخرافات والأساطير ، جيسكا كلارج، ترجمة : حازم مالك محسن ، مراجعة : ا.د. عبد الواحد محمد ، سلسلة عالم الحكمة ، (٦) حزيران ،٢٠٠٨. http://thiqaruni.org/arabic/28.pdf
ـ سيميولوجية الشخصيات الروائية ، فيليب هامون ، ت : سعيد بنكراد ، عن الانترنت .
ـ شعرية الفضاء الروائي ، حسن نجمي ، عن الانترنت : موقع محمد أسليم : aslimnet.free.fr
ـ صورة المرأة في الرواية المعاصرة، طه وادي،المعارف، مصر، ١٩٨٤. http://thiqaruni.org/arabic/44.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/43.pdf
http://thiqaruni.org/arabic/42.pdf

ـ لسان العرب ، ابن منظور، دار صادر ـ بيروت .
ـ مقدمة في السيميائية السردية، رشيد بن مالك، دار القصبة للنشر، الجزائر ٢٠٠٠ .